الكنيسة بالمغرب: بين إشراف أوروبي وواقع إفريقي

الباحث أزنار جواد ألكبوس
طالب باحث بسلك الدكتوراه
المعهد الجامعي للدراسات الإفريقية، والأورومتوسطية، والإيبيروأمريكية
جامعة محمد الخامس، الرباط
المغرب

مدخل

يَعرِف المغربُ، الآن وعلى مدى تاريخه، حركيّة هجروية مهِمّة، يُمكن القولُ على أنّها نشِطة وفق إمْكانياتِ كل زمَن هِجرويّ، وذلِك لموقعه المتوسِّطيّ من حيث أنه أقرب نقطة عبور بين إفريقيا وأوروبا من جهة، ناهيك على أنّ مِنطقة حوض البَحر الأبيَض المتوسّط، كانَت وما تَزال، مُلتقى الحَضاراتِ ومَجال تثاقُف بامتياز. بِداية، كانَ الاتّصال كثيفاً معَ أوروبا، حيْث أنّ المغرب بالذات، والمغربَ الكَبير عموماً، ومِنطقة شَمالِ إفْريقيا بشكلٍ أعم، كانَ كثير الاحْتكاكِ بأوروبا في مختلف فتْرات تاريخِه، وعايَش الدّول العُظمى وتلاقحت ثقافته مع ثَقافاتِها المختلفة، وأَعطَى وخَطّ في مَلامح هذه الثقافات أجزاءً مهمّة. فمدينة «شَالّة [Sala Colonia]» عند مُلتقى الرّباط وسَلا، كما مَدينة «وَليلي [Volubilis]» بالمغرب ... وغيرهما، تشهَد عنْ الحِقبة الّتي تُؤرّخ لهِجرة من الضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط – رومانية على الخصوص – نَحو بِلاد المغرِب، وَهذا على سَبيلِ الذّكر وليْس الحصْر[1]. وفي وقتٍ لاحِق، عزّزَ المغرب اتّصاله الهجرويّ بالمشْرق[2]، وكانَ مُستقبِلا لوُفودٍ ساهمَت في تَحديد شكْلِ المغربِ اليَوم خُصوصاً في مَسألة الدّين، فصارَ مِن الصّعبِ تَفكيكُ الثّقافة المغربيّة إلى أجْزائِها الأوليّة كَي نُمَيّز بينَ ما هو إرْث عَربي إسلامي (الذي طبع بالخصوصية المحلية المميزة له عما هو في المشرق)[3] وما هو مَشرِقي محض، وبينَ ما هُو مَحلّيّ أَو أمازيغيّ[4]، دون إغفال التلاقح الماقبل إسلامي والذي ضم عدة مكونات كالتواجد اليهودي الذي كان ولا زال قائما[5]. وهذا السّياقَ نفسَه أيضا، فتَح المجالَ أمامَ المِنطقَة لرَبطِ جُسورِ التّواصُل معَ الضّفّة المقابِلة للصّحراءِ الكُبرى، حيثُ انفتحتْ سُبُلُ التّجارة نحوَ إفريقيَا السّوداء، وتَعزّز التّبادل مَع الجنوب من خلال توسع نفوذ الدولة السعدية إلى ما وراء نهر السينغال، ونحو مالي والنيجر؛ وهو ما ولّدَ نوعاً آخر مِن الهْجرة من خلال الطرق التجارية التي كانت تجوبها القوافل بما فيها تِجارة الرّقيق والإشعاع الإيديوثقافي من خلال الزوايا والتصوف (الزاوية التيجانية والمريدين الذين لازال لهم تواجد ديني إلى اليوم في هذه المناطق)؛ وهو ما جعل مِن المغرب فضاء للتّواجُد الإفْريقي السّوداني أو «السّالِيغاني» كناية عن كل ساكنَة البُلدان جَنوبَ الصّحْراء[6]. هذا التواجد ظل قائما ومستمرا وطبع التنوع في المكون المغربي رغم واقع لون البشرة لم يكن خاليا من أشكال وتمظهرات الوصم الاجتماعي لدى المغاربة السود إلى أيامنا هاته.[7]

وعَليه، فإنّ مغربَ اليوم وثقافتَهُ، هُما نِتاجُ تفاعُلاتٍ وتلاقحات طاعِنةٍ في التّاريخ، جعَلتْ البَلدِ يعيشُ تَحوّلاتٍ لازال تأثيرها متواصلا عبر الزّمن. فالمغربُ دانَ بِأديانَ عِدّة[8]، وتحدَّثَ لُغاتٍ كثيرَة (أول رواية في التاريخ كتبت على يد أمازيغي يدعى "لوكيوس أبوليوس" باللغة اللاتينية تحت عنوان: الحمار الذهبي أو Asinus aureus أو أيضا Metamorphoses)[9]، وكانَ ولا يَزالُ عَلى استِعدادٍ لاحْتواءِ الآخرَ ومدّ جُسورِ التّواصلِ معَ أشَدّ المجتمعاتِ اختِلافاً كما يبْدو مِن السّياقاتِ التّاريخيّةِ الّتي مرَّ مِنها.

وقد بدأ المغرب يعرف اليوم شكّلا جَديدا للاتّصالِ الهِجرويّ بجَنُوبه. وإنْ لم يكن وجْهة، فَهو يشهَدُ بشَكلٍ عمَليّ تَواجدَ الأفارِقةِ من جنوبَ الصحْراءِ بِصفةٍ دائِمةٍ ومُتجدّدَة. لكِنّ سِياقَ المرورِ نَحوَ أوروبّا، لم يَكن أوّلَ اتّصالٍ جديدٍ بالمهاجرينَ الأفارقةِ جنوبَ الصحراء؛ حَيث كانَت البِدايَة في السبعينيات مَع الطّلبة الجامعيّينَ في إطارِ التّعاونِ بينَ الدّولِ الإفريقيّة، ليَلتحقَ بِهم لاحِقا "المهاجرونَ السِّرّيون"[10]. واليَوم نَعرفُ تَواجداً لأُجراءَ لَدى الخَواصّ وتُجارا يَعتبرونَ المغربَ وِجهةً وبلَدَ وُصولٍ أوْ بلدَ استِقْرار[11].

لَمْ تَكُن فكرةُ الاستِقرارِ هاتِه طارِئة أو مَعزولة، فبَعدما صارت دُوَل أوروبّا تدُق ناقوسَ الخَطَر إثرَ التّدفّقاتِ الهِجرويّة الإفريقيّة، أصْبحَ المغربُ طوقَ نجاةٍ تلجأُ إليهِ هذهِ الدّول، ليساهم على الحد من تدفق موجات الوافدينَ الجُدد. وهو ما سيَجعلُ مِنهُ بلدا يُفكرُ جدّيّا في استِقبال المهاجِرين جَنوبَ الصّحراءِ، وتَسويّةَ وَضعيّتِهم داخل البَلَد، مَع الأخْذِ بعَيْنِ الاعتِبارِ الأبْعاد الاقتِصاديّة والاجتماعيّة[12]، إلى جانبِ ما هُو قانونيّ، مَدفوعاً بالسّياقِ السّياسي العام الذي تعرفه المنطقة المتوسطية الإفريقية عموما، والمغاربية منها على الخصوص. وقد دشن ذلك باستعادة عضويته في الاتّحادِ الإفريقي[13]، وتدشينه لدبلوماسية نشيطة داخل المجال الإفريقي (علما أن المغرب مؤسس لمنظمة الوحدة الإفريقية، الاسم الأصلي لهذا الاتحاد الذي أعيد النظر في قوانينه لأهداف سياسوية)، سواء ما تعلق بالتعاون الثنائي أو المتعدد الأطراف أو بمشاريع التنمية في إطار علاقات جنوب–جنوب أو ما ارتبط بالدفاع عن إفريقيا وأولوياتها، وخاصة قضايا الهجرة؛ حيث ترافع حول تسفيه "الخطر الإفريقي الهجروي الداهم" موضحا بالدليل والحجة الإحصائية أن من بين 5 مهاجرين أفارقة لا يعبر منهم إلا مهاجر واحد نحو أوروبا، كما أن الهجرة الإفريقية لا تمثل إلا 9 % من مجموع الهجرة الدولية، وأن نسبة المهاجرين الدوليين منخفضة في إفريقيا؛ إذ لا تتجاوز 1،8% نمو الهجرة الإفريقية كان الأضعف دوليا؛ حيث بلغ 10 ملايين مهاجر بما فيهم المهاجرون العالقون (4 من 5) داخل إفريقيا[14].

فإذا أصبح المغربُ يأخذُ موضوعَ المهاجرينَ وتسويّة وضعيّتهم القانونيّة على مَحْمَلِ الجدّ خِلال السّنوات الأخيرَة في التزام بما يعتبره مسؤولية مشتركة[15]، فإنّ واقِعهم الاجتِماعيّ يَتطلّبُ أكثَرَ مِن مُجرّدِ وثائِق قانونيّة، بل يتَجاوزُ ذلِك إلى ما هُو حقوق ثقافيّة، هذا الجيل من الحقوق الّذي عاشَ ومازالَ يَعيشُ مخاضاً حاداً بفعل الهوّة بينَ شمالِ وجَنوبِ الصّحراء (هو ذات السياق الذب عاشته اوروبا خلال القرن الماضي مع التدفق الهجري للمغاربيين)[16]، والتّسارُع في الأحْداث الهِجرويّة الّتي صارتْ تحُول دُون سَلاسةِ الاستيعابِ/الاندماج (إن لم يكن التدامج[17]) المنتظرةِ مِن بلدٍ يَعرفُ تَعدّديّة ثقافيّة ضاربة في عمق التّاريخ.

يَعرِفُ المهاجرُ عُموما حالةً مِن (البَيْنِيّة)[18] Liminalité تَعرِفُ أشُدّها عِندَ وُصولِهِ لبلدِ المهجر، وتَبدأ في التّضاؤلِ معَ الوَقتِ، وشِدّة تسارُع هذا التّضاؤلِ ليست لها علاقتِه بالزّمان وليست مُوَحّدة، بل مُرتبِطة بِعواملَ عِدّة. والمهاجِر موضوعنا، يَعيشُ بَينيّة أعْلى حِدة نظرا لواقعِ: الإثنيّة / لونِ البَشرة كوصْم[19]، وحالَة الهِجرة / الغُربة، واللُّغة أيضا[20]. فكُلما كانَت الخُصوصيّات السوسيوثّقافيّة مُتباينة كلما كانت حالةُ البينيّة أشدّ، خصوصاً إذا تعلّق الأمرُ بالدّين[21].

لَقد ارتَأينا في هذا الموضوع الذي هو عبارة عن مقتطف من بحث تخرج سلك الماستر تحت عنوان: " وضعية البَيْنيّة[22] لدى المهاجرين الأفارقة السود جنوب الصحراء بالمغرب: المسيحيون الكاثوليك نموذجا"[23] أنْ نَفحصَ مسألةَ أثر الثقافة الإفريقية للمُهاجرين الأفارِقة السّود جنوبَ الصّحراءِ على المغرب، عِندما يَتعلقُ الأمرُ بمُعتنقي الدّيانة المسيحيّة كأقليّة دينيّة[24]، في ظلّ واقعِ بلدٍ ديانته الرسمية الإسلام، والأغلبية الساحقة من ساكِنتِهِ مُسلمينَ؛ افتِراضاً منّا أن وضعيّة البينيّة لدى هاتِه الفِئة ستكونُ أشدّ[25]، علاوة على مَا هُو مشتركٌ بينَ كلّ مُهاجري جَنوب الصّحراء. وبالتالي كيف سيجدون لهم ملاذا دينيا غير الذي توفره الثقافة المغربية؟

I. منهجية البحث الميداني

إنّ تواجُدَنا الدّائم بمَدينةِ الرّباط ومَحدوديّة زمَنِ البَحث، جَعلنا نَهتمُّ مَيدانيّا بالمهاجرينَ القاطِنينَ والوافدينَ على مَدينةِ الرّباطِ أساسا، كمَا أنّ اهتمامنا انصب على الفحْصِ الميدانيّ المتعلق بالمهاجرينَ جَنوبَ الصّحراءِ من المسيحيّينَ الممارسينَ للشّعائرِ ومُرتادي الكنيسَة. لذلِكَ ارتأينا التّرَدّد على بوسطِ مَدينةِ الرّباطِ واعتبارِها مَجالاً لِبَحْثنا، والّتي ستَجعلُنا نلتَقي ونتَواصَل أساساً مَع مُهاجِرينَ أفارِقة سُود مِن كُلّ الفئاتِ الاجتماعيّة. كَما أنّهم غالباً سَيكونونَ مِن النّاطقينَ باللّغة الفَرنسيّة باعتبارِ أنّ كنيسَةَ سان بيير تُحيي قُداسَها باللُّغةِ الفَرنسيّة دائِما.

وتُوجد «كاتدرائيّة القدّيس بُطرُس» Cathédrale Saint-Pierre في حيّ حسّان بالرباط وتطل على ساحة الجولان Place Golan، وقد حملت سابقا اسم ساحة الكاردينال لافيجوري Lavigerie Place du Cardinal[26] (أنظر الصورة رقمFigure1أسفله)، والتي يخترقها شارع باتريس لومومبا Avenu Patrice Lumumba.

صورة جوية لمنطقة تواجد كاتدرائية القديس بطرس بجماعة حسان بمدينة الرباط (لون مدادي)، وهي مستخرجة وفق مرجعية www.googlemap.com

وتأسست في سياق خلال الحماية الفرنسية. وتعتبر أهم كنيسة بالمنطقة حيث تعد كاتدرائية، أي مركز للإدارة الكنسية والأسقفية بالبلاد. وتدار من هذا المركز كل الكنائس التابعة لها عن طريق رمزية كرسي الكاتيدر Cathedre الذي يعتليه الكاردينال. وتتبع كاتدرائية القديس بطرس والكنائس التابعة لها: (كنيسة القديس فرنسيس الأسيزي Saint-François basilique d'Assise، وكنيسة القديس بيوس العاشر Église de saint Pie X... وغيرها) بالكاثوليكية الرومانية[27]. وعليه، تضم الكنيسة إلى جانب برامج الممارسة الدينية، برامج تَوَلّي شؤون إدارة الطائفة الكاثوليكية وكل ما يتعلق بأُمور الإرشاد والاستقبال للمسيحيين الذين يعيشون بالبلد ...

بُنيت الكاتدرائية (انظر الصورة) سنة 1919 على يد المهندس المعماري أدريان لافورغ Adrien Laforgue. وتم الافتتاح في 17 نونبر 1921 مع المقيم العام ليوطي[28].

وتُعتبر تقنية الملاحظة بالمشاركة عمادَ هذا البحث لكونها تساعد على التعرف على مجموعة من الأنشطة والممارسات التي لم يكن بالمقدور اكتشافها عبر أنواع ملاحظات أخرى، من قبيل: الملاحظة المباشرة أو غير المباشرة... فعن طريق المشاركة والحضور تمكننا من المعطيات الميدانية. والغرض من هذا، هو فهم تمظهرات البينية من خلال مقارنة سلوكات هؤلاء الفاعلين داخل الكنيسة وخارجها؛ باعتبار أن السلوك داخل الكنيسة هو فسحة عما لا يمكن فعله خارجها. وهذا الفعل خارج الكنيسة، والذي قد يكون على شاكلة إخفاء أو كتمان شيء ما (سر، سلوك، الخ.) أو حتى فعل مباشر.

II. الميدان: الكنيسة فضاء لامرْئي

يختلف جو الكنيسة كليا أيام الآحاد، حيث تفتح الكنيسة أبوابها صباحا حيث تمتلئ الأجواء بحركة لطيفة أمام الباب الكبير، بساحة الجولان؛ لعددا من الأجانب، وهم يتحاورون على شكل مجموعات صغيرة وقليلة العدد، متباعدة، بأرجاء الساحة، خصوصا ي الأحد تقل فيه حركة المغاربة صباح، فيصبح هذا الفضاء مِلكا للأجانب من جنوب الصحراء بامتياز؛ يعوضون الموظفين والتلاميذ وكل من ينتظر وصول الترامواي- خلال باقي أيام الأسبوع -عند المحطة المجاورة للكنيسة. غير أنّ المارّ من الفضاء لا يبدي أي اهتمام بواقع مكان يتملكه الأجنبي يوما من الأسبوع؛ مشكلين بذلك مجتمع موازيا لامرئي اجتماعيا، حيث يشتغل على منأى من الأنظمة الاجتماعية والثقافية والدينية في مجتمع الإقامة المغربي[29].

عند ولوج الكنيسة، تجد أمامك شخصا أو أكثر من المتطوعين، مهمتهم تفحّص الوافدين، وكل ما يمكنه أن يثير الانتباه معتمدا على ملاحظة بشرتهم للتعرف عليهم. إذا ما شك أنه غير مسيحي (كمغربي مثلا، وهو ما حصل معي)، فإنه يرشدك لمكان شاغر، وقد يقدم لك توجيهات أو تنبيهات: كأن يطلب من الشخص نزع قبعته أو التزام الصمت أو كتم صوت الهاتف، الخ، مع كثير من التوجس والحذر.

أيضا عند البوابة هنالك طاولة صغيرة بها أوراق من حجم أ4 (A4)، طُبِعت عليها صلوات اليوم وترانيمه، كي يسهل على حضور القداس تتبع التلاوات وترديدها، كما أنه على ظهر هذه الورقة جملة من المواعيد، وتوزيع الصلوات حسب الكنائس بالرباط، مع نص يطلب التبرعات أو الصدقات لصالح مؤسسة كاريتاس الخيرية، إضافة إلى نص يقول: «لدينا مؤمنون سجناء في السجون المغربية، وليس لهم عائلات تزورهم، تبرعوا من أجل إرسال الحاجيات اليومية... بتصرف». كما وُضِعت أيضا أظرفة كُتِب على ظهرها ما مفاده: «من أجل الحصول على الصلاة لقضاء حاجة، توضع صدقة من قيمه 70 إلى 100 درهم في الظرف، مع تحديد الحاجة للصلاة دون نسيان إغلاقه بإحكام... بتصرف». ومن المفيد الإشارة إلى أن مؤسسة كاريتاس[30] هي من يحصل على التبرعات. ونجد كذلك بعض المنشورات التي تتعلق بالمناسبات كتلك التي تهنئ بحلول شهر رمضان، أو تولي اهتماما بمجيء البابا؛ حيث توضع مطويات ملونة وملصقات تتحدث عن شخص البابا وأهم الزيارات التي سيقوم بها قبل وصوله للمغرب، ودواعي الزيارة روحيا وإنسانيا وسياسيا مع ذكر لمميزات المغرب فيما يخص مسألة التسامح والتآخي وتقبل الآخر المختلف دينيا وعرقيا. كما تشير هاته المنشورات إلى موعد القداس «التاريخي»[31] إضافة إلى الطوائف التي سترافق البابا في الكاتدرائية يوم قدومه، وأخيرا ورقة كتبت باللغتين العربية والفرنسية للمغاربة برسالة حب ومعايدة.

فالغريب، أن نشاط الكنيسة يستحضر ويفترض وجود المغربي في كثير من خطاباته ويوجه رسائل شفاهية وكتابية لشخص لا يرتاد الكنيسة عادة ولا يكون مرحبا به في كثير من الأحيان لاعتبارات أمنية، حيث تتواجد طول الوقت (قبل زيارة البابا) وحدات أمنية دائمة التواجد أمام الباب الرئيسي وتتعزز أيام الآحاد وفي المناسبات خصوصا في مناسبة الميلاد التي يكون لها صيت واسع في

البلاد، بل إن هذا "الآخر المريي" قل ما يكترث بهذا المكان والنشاط يه بحيث يصبحان لامرئيين بالنسبة له. وهذا يدفعنا لطرح التساؤل عن مفعول وقيمة هذه الخطابات التي لا تجد آذانا صاغية.

تختلف درجة الحرية عند الأجانب خصوصا لدى الأفارقة جنوب الصحراء سواء داخل فضاء الكنيسة وساحة الجولان الموجودة أمامها أوبين الأحياء والمناطق التي يزورونها. فتجد رواد الكنيسة تملأ صدورهم الصلبان وأيقونات المسيح والعذراء وكل الرموز المقدسة، بالإضافة إلى الحرية في ارتداء الأزياء والألوان المحبذة لديهم. إنهم لامرئيون في فضاء لامرئي. كما أن نوع التجارة المزاول أمام باب الكنيسة هو بصبغة الحرية الدينية والاختلاف حيث لا تباع إلاّ المواد الدينية والبضائع المرتبطة بها، مع تحريم بيعها للمغاربة. فعندما تقدمت لشراء صليب، رفضت البائعة إعطائي إياه، حتى أقنعتها أني لست مغربيا، وذلك بدعوى أن السلطات تمنعهم من التعامل التجاري بهذه المواد مع المغاربة.

من خلال الملاحظة المعمقة التي اعتمدتها إلى جانب الملاحظة بالمشاركة، وجدت أن الكنيسة هي مكان وهندسة تشغل جزءا من مدينة الرباط. فهذا الصرح ليس مجرد أبعاد هندسية ومعمارية، إنه مكان فارق ويصنع الهوة بين داخله وخارجه، كما أنه فضاء لامرئي بالنسبة للمغاربة المسلمين، بما يمارس داخله من عبادات وطقوس دينية وعقدية، وليس مكانا لامرئيا كبناية ومعمار[32]. فكنيسة القديس بطرس أو سان بيير بالنسبة لكثير من المغاربة ليست إلا كنيسة الجولان أو «النواقيس»[33] وليست إلا محطة تراموای، في حين أنها فسحة المغتربين من المسيحيين المؤمنين، وفضاؤها الضيق قد يكون أوسع من كل المدينة أو كل البلاد. فكيف يتشكل هذا الفضاء في بعده الاجتماعي تبعا للأنشطة المزاولة فيه والفئة النشيطة فيه، وكيف تتشكل الهويات به ومن خلاله؟

II---أفرقة الكنيسة:

كما سبق الذكر، فقد بُنِيَت الكاتدرائية بالرباط من أجل الأوروبيين المعمّرين بالمغرب خلال فترة الحماية وعلى غرارها بُنيت عدة كنائس بمختلف المدن ومن مختلف المذاهب. كما أن المعمِّر سَنّ قوانين منذ سنة 1914 تمنع على المقيمين القيام بكل ما قد يتسبب في عدم احترام مشاعر المسلمين، من قبيل: الاقتراب من دُور العبادة الإسلامية كالمساجد والجوامع، إلى جانب منعهم من السكر العلني والمجاهرة بالأكل خلال أيام رمضان[34]. في المقابل، مُنع على المغاربة دخول دور العبادة الخاصة بالمعمرين المسيحيين أي الكنائس والكاتدرائيات، مع التسامح في ارتياد الأديرة المسيحية، وذلك لكونها ذات طابع اجتماعي وخيري. وكانت موجهة للفقراء المغاربة بالأساس حسب شهادة سيدة مسنة من بين من سألتهم من القاطنين بحي حسّان؛ حيث توجد كنسية سان بيير. فكثير من مغاربة اليوم عاشوا تجربة الدَّير واستفادوا من خدماته. وقد التقيت مجموعة من المغاربة، صرّحوا بذلك حول ما يسمونه بمدرسة الراهبات أو نادي الراهبات. فقد كانت الراهبات تستقبلن النساء المغربيات لتعلم أعمال يدوية من قَبيل الخياطة والحِياكة والطبخ والطّرز... كما هنالك كثيرات ممّن تحدثن عن دراستهم بروض الأطفال تحت رعاية الراهبات. ومن المعروف أن الأديرة كانت تقدم تعليما أساسيا من خلال مدارس أشرفت عليها راهبات بالقرى والدواوير. ويتحدث سكان الرباط خصوصا القدماء منهم من ساكنة وسط المدينة والمدينة الجديدة والقديمة وحي ديور الجامع والمحيط وحي الليمون وحي العكاري وحي حسان وحي اليوسفية... فقد تحدث البعض عن ذكريات جمعتهم ببعض أديرة الرباط من قبيل دير "نقطة الحليب Goutte de lait" أو "العش Le nid" المتاخم لمستشفى الولادة قبالة الإدارة العامة للأمن الوطني، والذي أصبح اليوم يحمل اسم مؤسسة «لالة مريم»، وكذا مدرسة للراهبات الواقعة على شارع عكراش تحيط بها أحياء اليوسفية، ودوار الدوم، ومابيلا، والحي الإداري، والتي كانت تعرف باسم «مدرسة الصوبّا» – نسبة إلى الحساء الذي كان يقدم فيها للأطفال المعوزين والمشردين إلى جانب الخدمات الطبية الأولية – والتي لم يعد لها وجود؛ حيث أقيم على مساحتها بداية فضاء لألعاب الأطفال مع مقهى، اشتهر باسم «ميني بارك».

عموما، بعد الاستقلال، ستأفُل أنشطة كنائس المغرب؛ حيث أنه من بين الاتفاقات بين المغرب وفرنسا وإسبانيا أن يتم استغلال بنايات الكنائس التي ستنتهي صلاحياتها بتحويلها إلى منشآت ثقافية، وهكذا تم تحويل كنيسة سان جوزيف Saint-Joseph [35] / القديس يوسف إلى قاعة المهدي بنبركة بساحة إيطاليا عند "ساحة ماري فويي Marie-Feuillet[36] سابقا" بحي المحيط بالرباط. وهو ما يتماشى بشكل منطقي مع انتهاء الحماية ورحيل المعمرين وتضاؤل تواجد الأوروبيين في المغرب ليكتفيَ الأجانب بِبِضع كنائس، والتي أصبحت تستقطب عددا ضئيلا منهم[37]. هذا التضاؤل سيزداد مع توالي السنوات وستبدأ الكنائس تُهدَّد بالأُفول والاندثار الكلي لولا أنْ حدثَ طارئ تمثل في قدوم المهاجرين من جنوب الصحراء.

فمند نهاية الثمانينات، كما سبق الإشارة له في التقديم، أعاد الأفارقة جنوب الصحراء استعمال الكنائس الرسمية بالمغرب سواء الكاثوليكية أو البروتستانتية. وبالتالي، أعاد سياق تدفق هجرة أفارقة جنوب الصحراء نحو المغرب إحياءَ كنائس الحماية، وأعطاها شرعية البقاء والنشاط الديني.[38]

وهو ما دفع الباحث (برنارد كويو) Bernard Coyault[39] إلى أن يكتب: «*إن الملاحظ اليوم هو التنوع الثقافي داخل الكنيسة من خلال الانتقالات الفُجائية والممارسات الثقافية التي تظهر في الطقوس، ولعلّ أبرزها شكل التّرْنيم والتّرْتيل، فيَتَبين مدى قدرة الفضاء على ضم المختلفين وتوحيدهم في فكرة موحدة...*» بتصرف[40].وهي الفكرة التي صرح بها الأب (دانييل Daniel)[41]، وهو الكاهن المشرف على كاتدرائية القديس بطرس؛ حيث يقول: «*عند كل قداس أرى أمامي ما يزيد عن 45 جنسية مختلفة، جلهم اليوم من إفريقيا السوداء، وهذا أعاد إحياء الكنيسة من جهة، كما كان أدْعى لإعادة تشكيل ملامحها... الكنيسة اليوم تستوعب الكل مع احترام الخصوصيات الثقافية وصيانة حرية التّعبد للجميع*».[42] هنا نجد اتفاقاً بين المصرَّح به سواء فيما يخُص الكنيسة الكاثوليكية أو الكنيسة الإنجيلية.

أما بخصوص تجربتي البحثية، ومن خلال الملاحظة بالمشاركة، خلصت إلى أن كنيسة صارت إفريقية بامتياز، وأنا أجدني الوحيد الحِنطيّ اللون إلى جانب أربعة بيض وسط كلٍّ السود، عدا مرنمة واحدة سمراء ناعم شعرها كشكل مشارقة الشام، وفريق الخدمة الربانية في المذبح من الشقر الفرنسيين.

من الواضح أن وِصايَة البعثة الفرنسية الدينية بالمغرب مازالت متشبثة بتسيير وتدبير أمر الكنيسة بالمغرب، لكن البعثة، لا يمكنها غضّ البصر عن الوجود الحقيقي والفعلي والكثيف لأفارقة جنوب الصحراء بالنشاط الكنسي بالمغرب. وهو نشاط يتأفْرق، ويأخذ لون بشرة سوداء في مقابل إدارة وتسيير أوروبي أشقر، وذو خصوصية ثقافية ودينية مختلفة بالضرورة عن تلك التي توجد في إفريقيا جنوب الصحراء مهما تشابهت الأسماء والمبادئ الكبرى. إنه نفس الأمر الذي صرح به الباحث برنارد كويو في خضم حديثه عن أفرقة الكنيسة الإنجيلية[43]. وبالتالي الكنيسة الكاثوليكية كما يبدو في سان بيير، تأخذ ملامح إفريقية يجب على البعثة استدماجها.

III---استدماج الطقوس الإفريقية في الكنيسة الكاثوليكية :

يقول (جولي شودي) Julie Chaudier في خِضم حديثه حول الطقس الممارس في كنيسة (القلب المقدس) Sacré-Cœur[44] بمدينة الدار البيضاء، ووصْفِه للحياة الدينية لأفارقة جنوب الصحراء انطلاقا من الشوارع المؤدية للكنيسة وحتى مذبحها، أن الكنيسة تعيش جوا إفريقيا بامتياز من خلال الوجود المهم للسود الأفارقة مقابل الوجود الخجول للبيض[45]، إلا في هيئته القُداسية أي في الراهب والقس والخُدام فقط وبضعة مصلين[46]. ولقد أسفرت الملاحظة بكاتدرائية القديس بطرس عن نفس النتائج التي جاء بها جولي في مقالها، حيث وكما سبق الذكر، فإن الكنيسة تعرف تواجدا للأفارقة بشكل مكثَّف، وصفوف القداس تشهد بذلك كما أن المرنمين جُلّهم سود، وفريق الخدمة التطوعية كله من السود، وباعة المواد الدينية خارج الكنسية أيضا من السود، وأن المتجولين

في ساحة الجولان أيام الآحاد سود، كما لو أننا أمام بعثة إفريقية كنسية وليست بعثة أوروبية فرنسية، هذا ما دعا للملاحظة والبحث فيما إذا كان الممارَس إفريقيا أم أن الأفارقة مُلزمون باتباع نَهْج أوروبي فقط، أي فحص ما ما إذا كان الفضاء الكنسي متنفسا روحيا للوافدين أم أننا أمام تقاطعية في وضعية البينية تجمع بين غربة مزدوجة، الأولى داخل مجتمع مغربي والثانية داخل فضاء ديني أوروبي،[47] ليكونوا في وسطٍ يُحقِّق لهم الانتماء العقدي بما يستتبعه من انتماء قد يساعد في عبور سيرورة البينية، ومن تمَّ تخفيف وطأة الغُربة بل وتجاوزوضعية البَينية عبر هذا الاندماج الديني ومن خلال الانخراط في طقوسيته والقبول بالأدوار المنوطة له فيها، والابتعاد عن فضاءات الوصم بمختلف أنواعها وتمظهراتها، ريثما يتحقق حلم الهجرة واستكمال الطريق من إخلال النجاح في تحقيق المشروع الهجروي الذي تم رسمه كهدف عند الاطلاق ألا وهو العبور إلى أوروبا او بلد المقصد بدل القبول ببلد الإقامة أو الاستقبال [المؤقت].

وكما يذكر برنارد كويو، فالكنيسة دخلت في صراع ثقافي، حسب المشاركين في البحث، ثم تفاوض، ثم استدماج لما سماه كويو «الحركة الشبابية المسيحية الإفريقية بالمغرب» فهؤلاء الشباب أرادوا وبقوة خلق جماعة لهم تُقويهم على مِحنة الهجرة وقساوتها علما أنهم من الطلبة ومكوثهم محدود الآجال وإمكاناتهم المادية مستقرة، ووضعية البينية عندهم أخف، إلا أنهم أصرّوا على إحداث جماعة تُحقق لهم الانتماء الثقافي والديني على الأقل خلال فترة تواجدهم إنه بحث عن تقوية الهوية الدينية المهاجرة[48]. وقد بلغ هؤلاء هذا المطلب وتم استدماج قسٍّ أسود إفريقي في أنشطة الكنيسة الإنجيلية.

عند المذبح المرتفع وخلف كرسي الكاتيدر الرخامي للراهب يوجد فضاء صغير يشكل كنيسة صغيرة Chapelle منخفضة عن سطح المذبح بها أربعة صفوف من الكراسي وبضعة كراسٍ عن الجوانب وتحت اللوحة الزجاجية للمسيح المصلوب مع القديسين، توجد مِنصة أخرى أي هيكل ومذبح آخرين للراهب حيث يدير قداسه. ينطلق قداس المساء ساعتين بعد أن تغلق الكنيسة أبوابها، فعند السادسة والنصف مساء يبدأ القداس، لكن لا تفتح الأبواب الرئيسية فعلى يمين المصلَّى الصغير وحيث يوجد باب مكتب الراهب بينه وبين تمثال العذراء البُني، يوجد دَرَج يقود للطابق العلوي حيث مقر سكن الراهب، وبجانبه ممر يقود لفسحة علقت على جدرانها عدة إعلانات ومواعيد وعلى الشمال باب للمكتبة وباب لمكتب الاستقبال وعلى اليمين مرافق صحية، وقبالة الممر باب يؤدي إلى الخارج شرقا وهو باب من الحجم الصغير وقد لا يوحي أنه باب يستعمله المصلون خلال أوقات صلاة معينة، يؤدي إلىخارج المبنى، ويُفضي إلى«زنقة قفصة[49]»

لا يحضر هذا القداس إلا قلة قليلة من المصلين، وطبعا حضور غيرالأفارقة السّود يكاد يكون منعدما بمعدل شخص واحد أو اثنين عند كل قداس، وهذه الصلوات اليومية يأخذ منها قس أسود حصة أسبوعية، وخلال قداسه يَحترم الطريقة المعتادة في القداس حيث يستعمل اللغة الفرنسية وتكون الترانيم والتراتيل بالفرنسية أيضا، كما يتم ذلك في كل وقت وحين.

تُعطى كثير من الفرص للسود في المشاركة أثناء الطقس الديني الكنسي. فهم كما سبق الذكر مُرنمون ومُسيرون وأحيانا رُهبانا عدى كونهم مُصلين، لكن ثقافتهم المحلية ضمن "مجتمع الكنيسة" مازالت خجولة وقليلة الحضور في الممارس الكنسي، وتنحصر فقط في ترانيم الوداع قبل المغادرة وبعد التناول، فوقتها فقط تكون ترنيمة باللغة المحلية لأحد بلدان جنوب الصحراء، ويملأها الصخب والرقص الذي يطبع أسلوبهم في العبادة. ثم تظهر هذه الثقافة خارج الكنيسة عند طاولات الباعة الذين يعرضون بعض المواد من أطعمة وتوابل وأقمشة إلى جانب بعض الكتب والصلبان والأيقونات التي تحمل بشكل كبير ولافت الطابع الإفريقي، دون أن ننسَ شكل لباسهم الذي كثيرا ما تكون فيه لمسات إفريقية محلية[50]، علما أن المواد الدينية المباعة غير متاحة للمغاربة حسب قول البائعة فإن السلطات تمنعهم من بيع المواد الدينية للمغاربة.

وبالتالي فإن مطلب الطلبة الكاميرونيين الإنجيليين الذي انطلق من الدار البيضاء قد بدا أنه تحقق بوجود ممثل كنسي وترانيم إفريقية، لكنه يبقى بالمقارنة مع الحضور المكثف للأفارقة في الكنائس مجرد مجاملة لجمهور من "المؤمنين" يلتزم بالأداء الديني الأوروبي في مكان لا هو في بقعة أوروبية ولا هو بحضور أوروبي كثيف ولا دائم[51].

المقارنة بين الضعف الثقافي للممارسة الدينية الإفريقية بالكنائس داخل المغرب وبين الواقع الديني في المجتمع المغربي الذي يرى في الأسود شخصا موصوما وان كان مغربيا[52]، يجعل من الكنيسة الاختيار الأفضل وبامتياز للإفريقي جنوب الصحراء، فإمكانية التكيّف مع كنائس البعثة الأوروبية بمختلف مذاهبها ولُغاتها، يبقى أسهل وأريح وأضمن للحصول على جماعة (كومينيتاس[53]) تعيش نفس الظروف وتتقاسم الجماعة فيها أبعادا روحية تسمو فوق الشكل وتخفف من وطأة واقع الهجرة ومن الإحساس بالوصم ومن حالة البينية وما تخلفه من هشاشة، والتي لن يجد ممرات لتجاوزها في الواقع الديني المجتمعي بالمغرب أكثر مما يجده في الكنيسة التي توفر له وجودا موحدا لفئة تتقاسم معه أكثر من مُسبِّب وداع للهجرة التي تحوم أسبابها عموما في واقع الهجرة نفسه وفي الوصم المتعلقبلون البشرة الذي يعزز الاختلاف مع ساكنة البلد واختلاف الدين عن ذاك المنتشر بعيدا عن باحات الكنائس، واللغة التي تقف عائقا أمام تماهي والتعايش التام داخل بلد يهتم بلغة لا تشغل اهتمام إفريقي جنوب صحراوي ومسيحي.

إن اجتماع مسببات البينية كلها أو بعضها (الهجرة، لون البشرة، اللغة، الدين، الثقافة، الوضع الاقتصادي...) لدى المهاجر تفتح أمامه الباب الاضطراري لخوض مسالك واستراتيجيات تحقق له الاستقرارالكامل أو النسبي، وبالتالي يكون أدعى له البحث في سلسلة شبكاته الاجتماعية والعلائقية ومكنوناته الثقافية وإمكانياته المعرفية وأحيانا الاقتصادية ليَفُكّ خبَل الأزمة، ولقد أشار الباحث الفرنسي مارسيل موس من خلال مؤلفه "الصلاة"[54] أن الممارسة الدينية المتجلية في فعل الصلاة تُحافظ على طبيعتها مهما تعددت أشكالها، فخلص إلى تعريف يتضمن أربعة عناصر: أولاها أن الصلاة فعل ينضوي على جهد جسدي وعلى صرف لطاقة جسدية ومعنوية. كما أنه فعلٌ تقليدي موروث وهو جزء من طقس، والأهم أن هذا الفعل هو استجداء ودعوة لتحُل القوى الخارقة على الأشخاص. في حين اعتبر إميل دوركايم التدين من خلال مؤلفه "الأشكال الأولية للدين"[55] تتلك المؤسسة التي توحد الجماعة وظيفيا، الأمر الذي نجده بالدور في الكومينيتاس[56] المجتمع الخلالي الذي يعتبر تمظهرا لمقاومة لتجاوز واقع الغياب المزدوج للأجنبي الذي يغيب بالجسد عن وطنه وبالروح عن ثقافته عن طريق التزام الكومينيتاس والتدين قياسا على تصور الباحث عبد الملك الصياد عند دراسته لحياة المغاربيين في فرنسا[57]، رغم أن واقع الكنيسة لا يتيح ذاك الاندماج الكامل لأسباب تقنية محضة مرتبط بالمنطق الأوروبي للكنيسة البعثوية. وبالتالي الدين ليس هو الاختيار أو الورقة الوحيدة التي يمكن للمهاجر أن يستعملها فهي خيار من بين عدة خيارات يلجأ لها من يظن فيها أنها الأنجع أو يعدد بين الخيارات لرفع حظوظه، وقد يكون الدافع براغماتيا مُضمرا وليس حُطة مُعلنة خصوصا أن المعتقد الديني له بعد روحي واتصال بما وراء المادة وما يمكن أن يعتقد المؤمن أنه قادر على مد يد العون بشكل خارق وفعّال، والممارسة داخل الكنيسة تبين أن المؤمن له دوافع روحية لا يمكن إغفالها رغم تجلي التبادلات العلائقية والمادية والمآرب الاقتصادية، فحتى المستقرون في المغرب بوضعية مادية شبه مريحة يحسون بواجب شكر الله والامتثال لمطالبه.

يحضرني مجيء سيدة وزوجها يحملان طفلهما حديث الولادة طلبا للمعمودية والسيدة في أبهى حُللها وتلبس قفطانا مغربيا كما وأن الرجل يلبس بذلة رسمية ويبدو على محياه الفرح والسعادة، هذا الطقس أعلنه الراهب في بداية القداس وكانت فرصته ليشيد بهكذا أفعال ويدعو المؤمنين للالتزام بالتعاليم والحرص على الاتصال الدائم بالكنيسة والوفاء للمعمودية مستحضرا تجربته الخاصة نحو خدمة الرب.

وبالتالي، يعمل كل مؤمن على الحفاظ والتمسك بثقافته الدينية لجوءً منه لله ثم لجوء لجماعته ثم الاستفادة من شبكة العلاقات ولما لا طلب المساعدة للخروج من الأزمات التي قد توفرها المؤسسات الخيرية اللصيقة بالعمل الكنسي مثل كاريتاس CARITAS. لكن ليس كل المؤمنين يُقبِلون على ارتياد الكنائس الرسمية لمجرد أنهم مسيحيون، خصوصا أولئك الذين يولون اهتماما كبيرا للمسألة الثقافية وخصوصيتهم كأفارقة، الأمر الذي ليس متاحا بحذافيره داخل الكنائس الرسمية، ما يدفعهم إلى التعاطي مع كنائس غير رسمية أو ما يعرف بالكنائس المنزلية.

خلاصة:

تعد الكنيسة مكانا لا يلفت انتباه المغاربة، لكنه فضاء يعج بالتفاعلات الاجتماعية. وهو فضاء يستقطب المهاجرين بكثرة، ويشكل ملاذا لهم لتجاوز وضعية البينية وتشكيل الكومينيتاس. إن التوافد الكثيف للأفارقة المسيحيين على الكنائس، حوّل الكنيسة بالمغرب من بعثة غربية إلى امتداد جنوب صحراوي بالمغرب، وحولها إلى مُلحقة إفريقية بشكل عملي وعددي ظاهر؛ الأمر الذي استوجب ردة فعل من الكنائس الرسمية بالمغرب. إلا أنهلا يكفيأن تمد يديها للوافدين فقط، بل يجب أيضا الاعتراف بوجودهم الثقافي عبر فتح مجال لطقوسهم المحلية والسماح لها بالبروز في الطقوس الممارسة داخل الكنيسة يحدث بشكل دائم أن تبدي الكنيسة اهتمامها بالسود وثقافتهم، دون أن يرقى هذا النهج للمطلوب، ودون أن تتخلص البعثة من الوصاية الغربية بشكل فعلي، هذا ما يدفع عددا من المسيحيين إلى التخلي عن الخدمات الكنسية الرسمية والاتجاهنحو الكنائس المنزلية بحثا عن مزيد من دفء الجماعة أو الكومينيتاس والاستقواء ومقاومة الغربة وتجاوز الوصم الاجتماعي الذي يطال السود وبالتالي تجاوز وضعية البينية. قد يبدو أن الطابع غير الرسمي للكنائس المنزلية أدعى لرصِّ شبكات اجتماعية أقوى، لكن الكنيسة الرسمية أيضا توَفر مجالا خِصبا لحبْك شبكات اجتماعية وخلق مؤسسات تُعنى بالمهاجرين وتكون لهم ملاذا أيضا إلى جانب التغذية الروحية التي يلقاها المهاجر داخل كل قداس.

الهوامش:

[1] Sinclair, Mandy, A Brief History Of The Ancient Roman City Volubilis, the culture trip, Morocco, www.theculturetrip.com, 2017-10-2.

[2] ركوك، علال، الهاني، حفيظة، **أصول المغاربة**، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2017.

[3] دوتي، إدمون، **الصلحاء**: مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر، ترجمة: محمد ناجي بن عمر، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2014.

[4] بن عبد الله، عبد الرحمن، **فتوح إفريقيا والأندلس**، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1964.

[5] بوم، عمر، **يهود المغرب وحديث الذاكرة**، ترجمة: بن الصغير خالد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، رقم 18، جامعة محمد الخامس، الجامعة الدولية، الرباط، 2015، ص 279.

[6] جمال أحمد طه، **مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين**، دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2001.

[7] يسني، ياسين، سود البشرة والإعلام المغربي: القناتان المغربيتان الأولى والثانية نموذجا، **باحثون**، العدد: 1، ابلال عياد، مطبعة وراقة بلال، فاس، 2017، ص 212

[8] عياش، البير، **تاريخ شمال أفريقيا القديم**، منشورات أمل، 2007، ص26.

[9] لوكيوس، أبوليوس، **الحمار الذهبي**، ترجمة: دودو أبو العيد، بيروت، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، الطبعة 3، 2004.

[10] ساد استعمال هذا المصطلح في الإعلام، غير أنه اعتبر مهينا لهذا الفئة من المهاجرين، هكذا بدأ استعمال مصطلح "مهاجرون دون وثائق [ثبوتية]" لأنهم كانوا يتلفونها حتى لا تتمكن السلطات من معرفة بلدهم الأصلية وترجعهم إليه (ولهذا كان يطلق عليهم "الحراقة" بسبب حرق وثائقهم)، وبدأ استعمال مصطلحات رسمية من قبيل "مهاجرون غير شرعيين" ثم "مهاجرون غير قانونيين" وأخيرا "مهاجرون غير نظاميين". وهي مصطلحات لا تأخذ بعين الاعتبار الوضع الإنساني الذين يعيشونه، كما أنها تجرمهم وفق قانون الهجرة المعمول به في كل البلدان. ويقترح الأستاذ عبد الفتاح الزين (رئيس فضاء الوساطة ومنسق الشبكة الإفريقية للهجرة والتنمية) أن المصطلح الأنسب لوضعهم هو "مهاجرون في نزاع مع القانون"، على اعتبار أن الهجرة ليست ظاهرة تجب محاربتها، ولكنها وضعية إنسانية تتطلب مواكبة ودعما لإدماج هؤلاء "المعذبين فوق الأرض" حسب تعبيره.

[11] Chaudier, Julie, Religion : L'arrivé en force des Subsahariens dans les années 90 a revitalisé les Églises du Maroc, Le point, N° 2641, 201,P 44.

[12] باتسيد، بروجر، الانتروبولوجية الدينية: الهجرة وانماج المهاجر في الوسط الحضري، ترجمة: الصديق لحسن، **باحثون**، العدد: 1، ابلال عياد، مطبعة وراقة بلال، فاس، 2017.

[13] الأشرف، حسن، عودة المغرب إلى الاتحاد الإفريقي: أسباب وخلفيات، العربي، 2018، شوهد في: 2019/12/19، www.alaraby.co.uk.

[14]OIM, l'état de la migration dans le monde en 2020. Lien suivant, visiter le : 23/1/23 à 19:28, https://rb.gy/rvmwu6

[15]أبدعت السياسة الهجروية المغربية مفاهيم أغنت المعجم الدولي للهجرة من قبيل مفهوم "المسؤولية المشتركة نحو الهجرة". وهي مسؤولية تتقاسمها في نوع من التضامن بين بلدان "المصدر"، و"العبور" و"المقصد" أو "الاستقرار". وهو مفهوم أصبح يشكل في سياق الديبلوماسية الإفريقية التضامنية قطب الرحى بالنسبة للمغرب. وهو ما جعله رائدا إفريقيا للهجرة سواء من خلال حملات تسوية وضعية المهاجرين بالمغرب وبطريقة تشاركية أو من خلال وضعه للسياسة الوطنية للهجرة واللجوء ومتابعة تقييمها وإغنائها، واقتراحه للأجندة الإفريقية للهجرة والتنمية التي اعتمدها الاتحاد الإفريقي، والمرصد الإفريقي للهجرة الذي أدرج في الميثاق العالمي للهجرة الآمنة والمنظمة والنظامية باعتباره ممارسة جيدة، والذي احتضنت الرباط مقره ... إلى غير ذلك من المبادرات الدولية والإفريقية والوطنية حول موضوع الهجرة ... بما فيها بنود الدستور الجديد المخصصة للهجرة المغربية والأجنبية بالمغرب.

[16] Cesari, Jocelyne, Pays d'accueil : Problème du vécu, Popp Herbert, migration internationales entre le maghreb et l'europr : les effets sur les pas de destination et les pays d'origine, Colloques et Séminaires, N : 75, Univercité Mohammed V, Rabat, p 13.

[17] مصطلح وضعه الأستاذ عبد الفتاح الزين (انظر العديد من دراساته حول موضوع الهجرة)، عندما لاحظ أن مطالب المهاجرين من جنوب الصحراء تنحصر في تسوية الوضعية القانونية دون إقبال على البرامج الموضوعة في إطار السياسة الوطنية للهجرة واللجوء أو التعامل معها بنفعية في انتظار أن تسنح فرصة لهؤلاء للانتقال نحو الفضاء الأوروبي من خلال شبكات تهريب البشر. وعليه فالتدامج هو عملية اندماج تقدمها دولة بلد الاستقبال للمهاجر مقابل اندماج يجعل المهاجر ينتقل من وضعية استقبال إلى وضعية إقامة تتأسس عنها حقوق في علاقة عضوية بواجبات على المهاجر الوفاء بها بعيدا عن منطق المقايضة.

[18] البينية: اعتمدناها ترجمة إجرائية لمفهوم Liminalité ou Liminarité على اعتبار أن المفهوم كما طرحه أرنولد فان كينيب Arnold van Gennep يشير إلى مرحلة طقوسية يكون فيها الفرد قد فقد مكانته السابقة (وضعية غير نظامية)، لكنه لم يكتسب بعد وضعا جديدا. إنه بين مرحلة الانفصال séparation عن مجموعته (انطلاقه في مشروعه الهجروي)، ومرحلة الانضمامréincorporation إلى المجتمع (الحصول على وضعية قانونية داخل مجتمع الاستقبال أو الإقامة).

- Van Gennep,Arnold, Les rites de passage: étude systématique des rites, Beros, Paris, Réédition augmentée, 1969, Vu le 13 Mars 2023, p 315, sur : https://rb.gy/ikdzu7
- Dartiguenave,Jean-Yves,Rituel et liminarité, Paris , Société, 2012, Vu le 30.06.2019, sur : https://rb.gy/do34tr

[19] يسني، سود البشرة .. op.cit، ص: 123.

[20] الزين، عبد الفتاح، التعددية اللغوية والسوق اللغوية بالمغرب: مكانة اللغات الوطنية، **العلم**، الرباط، 22 ةفبراير 2023، ص 13.

[21] أحموشي، محمد الصديق، آليات تدبير الشأن الديني المسيحي في المغرب، **دورية كان التاريخية**، العدد 51، مقالات، 2021.

[22] جاء البحث حول موضوع البينية ضمن أشغال فريق البحث المغربي المنضوي تحت مشروع بحثي دولي يتناول قضية البينية من مختلف جوانبه وفي مختلف سياقاته بمشاركة باحثين من دول: ألمانيا، فلسطين، مصر، الأردن، السعودية... وقد كان الفريق المغرب تحت إشراف الباحث مختار الهراس إلى جانب الباحث هشام أيت منصور اللذان أشرفا على تأطير فريق الطلبة الباحثين المشاركين في المشروع.

أنظر المرجع (الهراس،مختار، وآخرون، **على الجانب**، برلين: Leibniz zentrum moderner oriental، مؤسسة عبد المحسن القطان، ملتقى دراسات الثقافة الخارجة، Vollkswagen Stiftung، جامعة محمد الخامس بالرباط؛ ماي 2021.)

[23] ألكبوس، أزنار، وضعية البَيْنِيّة لدى المهاجرين الأفارقة السود جنوب الصحراء بالمغرب: المسيحيون الكاثوليك نموذجا، بحث تخرج نيل شهادة الماستر، إشراف: الهراس مختار، الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، 2019.

[24] أحموشي، آليات تدبير الشأن الديني المسيحي. op.cit

[25] ألكبوس، أزنار، جواد، الهجرة ووضعية البينية: استراتيجيات المقاومة لدى مهاجري جنوب الصحراء المسيحيين، يسني ياسين، ابن الشيخ أناي، **نساء أفريقيات: النوع والعرق والطبقة**، المجلة الأفريقية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 4، ISSN، ماي 2023، الصفحة: 85.

[26]Rol Benzaken, Liste des églises de Rabat, 2015, Benzaken centre blog, 2015, Consulté le : 09/10/2019. https://rb.gy/fzqyv1

[27]الكنيسة الرومانية الكاثوليكية: هي أكبر الكنائس المسيحية، مع ما يقرب من 1.3 مليار كاثوليكي معمّد في جميع أنحاء العالم اعتباراً من عام 2016.

[28] Baïda, Jamaâ et Feroldi, Vincent et Boutaleb, Brahim, Présence chrétienne au Maroc: XIXe –XXe siècles, Rabat, impressions Bouregreg communication, 2005. P. 40 .

[29] جل الدراسات التي أجريت عن المغرب والمغاربة حديثا وقديما، لم تعتبر الأنشطة المسيحية جزء من الثقافة والمعيش اليومي للمغاربة، حيث تم فحص الممارسات الدينية لدى المغاربة وتفكيكها لتمييز البقايا الوثنية الأمازيغية والرومانية منها عن الإسلام المشرقي، وأيضا تمييز الثقافة المشتركة بين المدينين بالإسلام واليهودية من المغاربة، وهذا ما تبينه المراجع التالية:

Wesrernmark, Edward, The belief in spirits in Morocco, New york, Univercity books, 1968.

Wesrernmark, Edward, Rituel and belie in Morocco, New york, Univercity books, 1968.

Doutté, Edmond, Notes sur l'islam Maghrébin, les Marabouts, Extrait de l'histoire des religion, Ernest Leroux, Editeur, Paris, 1900.

Doutté, Edmond, Merrakesh, Comité du Maroc, Paris, 1905.

منديب، عبد الغني، **الدين والمجتمع**، إفريقيا الشرق، 2010، ص 119.

بوبريك، رحال، مدخل إلى الأنتروبولوجيا، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط،2014، ص 160.

[30] هي مؤسسة دولية تُوحّد ما يُناهز 165 مؤسسة تنشَط بمجال الإغاثة وذاتُ خلفية كاثوليكية وتهتم بمجالات التنمية والخدمة الاجتماعية والمساعدات الإنسانية، تُوجّه أعمالها لنحو 200 بلد في جميع رُبوع العالم، وتُعدّ هذه المؤسسة كاريتاس واحدة من أكبر الشّبكات التي تنشَط وبقوة في العمل الإنساني العالمي. يمتد تاريخها من سنة 1867 انطلاقا من ألمانيا، وأنشئت فروعا لها في سويسرا سنة 1901، وفي الولايات المتحدة الأمريكية، حَملت مجموعة من المؤسسات الكاثوليكية مُجتمِعة اسم كاريتاس سنة 1910. وتجدُر الإشارة أن هدف المؤسسة حسب ما هو مُعلن لا يعمل على تَفيِيء الناس، بل تساعد الفقراء والمحتاجين بِغَضّ النظر عن اللون والجنس والعرق والمعتقد

Caritas: Ending poverty promotion justice and restoring dignity; www.caritas.org;2023/04/01

[31]القداس الذي أحياه البابا فرانسيس الثاني عند زيارته الأخيرة للمغرب بتاريخ 31 مارس 2019، في المركب الرياضي مولاي عبد الله بحي يعقوب المنصور بالرباط.

Cristobal, Cardinal Lopez Pomero (Le Cardinal du Maroc), Visite Apostolique du Pape François au Maroc, Archevéché de Rabat, Direct Print, 2019.

[32] Granfmeyer, Yves, Sociologie Urbaine, Nathan Université, Lyon, 1994, p 94.

[33]النواقيس: وهي التسمية القديمة لدى السكان المحليين، كناية عن زمن كانت تُدق فيه النواقيس أو الأجراس بكاتدرائية سان بيير إعلان اللأجانب من المسيحيين بحلول وقت الصلاة.

[34] ميساو، العربي محمد، القانون الجنائي وقانون ليوطي، موقع العلوم القانونية، 2015، شوهد في 2023/03/20/، في:
.www.marocdroit.com

[35]Rol-Benzaken, Liste des eglisesa rabat. L'église de Saint-Joseph, center blog, 2015, Consulté Le : 11/10/2019, www.centerblog.net ,

[36]Ibid.

[37] Coyault, Bernard, L'africanisation de l'église évangélique au Maroc : Revitalisation d'une instituions religieuse et dynamiques d'individualisation, in : Loschi Chiara, L'année du Maghreb, 2014, N : 11, Paris, CNRS EDITIONS.P82.

[38] Chaudier, Julie, Religion : ces Subsahariens qui bouleversent les Églises du Maroc», Le point Afrique Consulté le 31/03/2019.

[121] Bernard Coyault, Directeur de l'institut AL MOWAFAQA de Rabat, Chercheur associé au centre Jaques-Berque, doctorant en anthropologie à l'EHESS-IIAC.

[40] Coyault, L'africanisation, op.cit, P884-3.

[41] الأب دانييل: مرسول البعثة الفرنسية للرومان الكاثوليك بالمغرب وراعي كاتدرائية القديس بطرس بالرباط.

[42] الأب دانييل، **كنائس المملكة تمتلئ بالمسيحيين. وحرية التعبد مصانة**، موقع هيسبريس، محاورة وائل بوشاشن، 5 أكتوبر 2018.

[43] Coyault,L'africanisation, op.cit , P82.

[44] كنيسة القلب الأقدس: كنيسة تم الانتهاء من بنائها سنة 1930 من قبل المستعمر وتعرف خطأً باسم كاتدرائية لكنها لم تكن يوما كذلك، توقف عملها بعد الاستقلال، وعادت للاشتغال بعد التدفق الإفريقي على البلد.

[45] Laroui, Abdalla, l'Histoire du Maghreb, Paris, centre culturel des livres, 1983, p204.

47 Chaudier, Julie, Religion : ces Subsahariens qui bouleversent les Églises du Maroc, Le point Afrique, 2015, consulté le : 14 / 03/ 2023, sur : https://rb.gy/ecbbub

[47] التقاطعية، مفهوم مقتبس من الدراسات حول النسوية السوداء التي تجمع الإقصاء على أساس النوع والإقصاء على أساس لون البشرة.

ألكبوس، أزنار، نسوية سوداء بقلم أبيض (هازل كاربي)، في يسني ياسين – رامي عمرو، **مدخل إلى النسوية السوداء: الاستعمالات الإبيستيمولوجية والسياسية لفئات "الجنس" و"العرق" و"الطبقة" في دراسات النوع الاجتماعي**، تطوان، منشورات جنوب شمال، 2022 الصفحة 63.

[4848] Coyault , L'africanisation, op.cit.

[49] اسم الزنقة لمدينة تونسية، تكتب بالفرنسية Gafsa.

[50] Alakbousse, Aznar, An Interview with a female Ivorian Immigrant about : the Experiences of Immigration and Spirituality, in : El herras Mokhar, on the side, translated by : Randa Aboubakr, berline : December 2020 ; pages 48

[51] Coyault, L'africanisation, op.cit.

[52] يسني، سود البشرة، op.cit.

[53] Turner, Victor,Liminality and Communitas, in:Turner Victor, the Ritual Process: Structure and Anti-Structure, New York, Aldine Publishing, 1969, pp 94-113.

[54] Mauss, Marcel, La Prière, Les classiques de la science, Université de Québec à Chicoutimi, 1909, Edition électronique, 3 Octobre 2002.

[55] Emile Durkheim, Les formes élémentaire de la vie religieuse, PUF, Paris, 6 Editions, 2008.

56 Turner, Liminality, op.cit.

57 Sayad, Abdelmalek, La double absence, Paris, du Seuil, 1999, p 56.